

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 4 - سورة الصف - تفسير الآية 9 ، نصر دين الله

26-10-1997

تفسير القرآن : دروس الطاوسية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:
أيها الأخوة الكرام:

في القرآن الكريم آيات تشير إلى ما سيكون عليه حال الناس في آخر الزمان ، يسميها علماء العقيدة غيب المستقبل ، هناك غيب الماضي ، وهناك غيب الحاضر ، وهناك غيب المستقبل.
فالآية الكريمة التاسعة من سورة الصف وهي قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) ﴾

وما يجري في العالم اليوم أن هذا الدين يعلو على كل الأديان مع أن كلن من في الأرض يحارب هذا الدين ، ومحاربة الدين تشبه إنساناً يريد أن يطفئ النار بالزيت ، فكلما صب على النار زيتاً اشتدت اشتعالاً.

فانتشار الإسلام في القارات الخمس ، شيء لا يصدق ، يعني بالبلاد التي تحارب هذا الدين ينفجر فيها الإسلام في سلسلة هندسية وقال بعضهم بسلسلة انفجارية ، وكل النظم الوضعية أعلنت إفلاسها ما استطاعت أي من هذه النظم أن تحقق للبشرية سعادة أبداً ، شقي الإنسان بالشرق ، وشقي بالغرب ، شقي في الشرق قهراً ، وشقي في الغرب نفسخاً ، نفسخ في الغرب وشقي ، وقهر في الغرب ، وقهر في الشرق ، فشقي.

أما الإسلام دين وسطي ، والشرق قهراً عنه عاد إلى بعض أحكام الإسلام لا عن تعبد ، ولكن عن قهر ، والغرب اضطر أن يعود إلى بعض أحكام الإسلام لا عن تعبد ، ولكن عن قهر.

لذلك المستقبل لهذا الدين ، وأقول لكم مرات عديدة ، هذا الدين دين الله ، والله جل جلاله متكفل بنصره ، ورفع رايته ، ونصرة أهله ولكن لكل أجل كتاب ، والمؤمن يجب أن يقلق لا على هذا الدين بل على أن الله سبحانه وتعالى سمح أم لم يسمح له بنصر هذا الدين ، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾

(سورة محمد: 38)

فالإنسان حينما ينال شرف نصر هذا الدين ، هذا وسام شرف رفيع ، يعني أعلى وسام يعلق على صدرك أن تكون جندياً للحق ، أن تسهم بنشر الحق ، أن تسهم بترسيخ قيم الدين ، أن تسهم بإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أن تمسك بالكتاب ، أن تسعد الناس بتعريفهم بالله ، أن تسعدهم بحملهم على طاعته ، أن تسعدهم بالبذل والعطاء.

لذلك هذه آية مبشرة ، ثلاث آيات مبشرات:

الآية الأولى:

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾

(سورة آل عمران: 12)

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾

هؤلاء الصناديد الذين ناصبوا النبي العدا ، أبو جهل ، أبو لهب ، صفوان أين مصيرهم ؟ في التاريخ في مزابل التاريخ ، وفي النهاية في النار ، هؤلاء الذين نصرروا دين الله ، سيدنا الصديق سيدنا عمر ، سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، في أعلى عليين.

جاء عكرمة مسلماً ، خلق النبي يفوق حد الخيال ، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه أبوه أبو جهل ، وهو من أعداء النبي ، قال إياكم أن تسبوا أباه لأن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت ، إكراماً لأبنة عكرمة إياكم أن تسبوا أباه.

فالله عز وجل ناصر لدينه ، وناصر لأهل الحق ، يدافع عن الذين آمنوا لا يتخلى عن عباده المؤمنين. ذكرت قبل يومين في خطبة ، أن الحجاج بن علق السلمي هذا من أغنياء أهل اليسار جاء النبي مسلماً ، وأعلن إسلامه ، ثم استأذنه أن يذهب إلى مكة لأن في مكة ماله ، قال مالي عند زوجتي أم شيبية في مكة ، ومتفرق بين تجار مكة فأذن لي أن أذهب إلى مكة لأجمع مالي قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإن علموا بإسلامي لم يعطوني شيئاً ، فأذن له النبي ، ثم استأذنه بشيء محرج ، قال أذن لي أن أتقول عليك ، كي أحتال على استرداد مالي ، قال له تقول ، وصل إلى ظاهر مكة ، رأى رجالاً ينتظرون الأخبار ، لأن أهل مكة علموا أن النبي سار إلى أهل خيبر ، سار إلى خيبر ، وتراهنوا على مائة ناقة ، من سيغلب رسول الله أم أهل خيبر ، لأن أهل خيبر من أشد قرى الحجاز قوة ، ومنعة ، وتحصن ، وغناً ، ولقد سار إليه النبي ، فلما رأوا الحجاج بن علق السلمي ، قالوا هذا والله الحجاج عنده الخبر اليقين تعال يا حجاج ، ما عندك من أخبار ، قال والله معي لكم أخبار سارا لقد سار إليهم محمد وأصحابه ، ولم يلق قوم أشد منهم فهزموا ، ووقع محمد أسيراً ، وأبوا أن يقتلوه ، أرادوا أن يقتلوه في مكة ، أن يأتوا به إليكم أن تقتلوه بما أصاب من رجالكم ، كاد هؤلاء أن يخرجون من جلودهم لهذا الخبر ، هذا أفرح خبر يأتيهم ، فانطلقوا إلى أهل مكة وأشاعوا الخبر ، أن محمد ذهب إلى خيبر وهزم شر هزيمة ،

ووقع أسيراً ، وأراد أهل خيبر تكريماً لقريش ، أن يسوقوه إلى مكة المكرمة ليقتل برجال قتلهم النبي في معركة بدر ، وأحد ، أنتعش الكفار فرحوا ، وطربوا ، لكن المسلمين سرّاً في مكة كُسروا بهذا الخبر ، من على رأس هؤلاء المؤمنين سيدنا العباس ، عم النبي عليه الصلاة والسلام ، قال حينما بلغه هذا الخبر ، شلت حركته ، واستلقى على فراشه ، ولم يستطع أن يقف على قدميه ، خبر مؤلم جداً ، وأرسل إلى علاق إلى الحجاج غلاماً له ، قال يا حجاج قل له دققوا ماذا قال ، قال له يا حجاج ، إن الله أجل وأكرم من أن يكون هذا الذي قلت صحيحاً حسن ظن بالله ، الله أجل وأكرم من أن يكون هذا الذي قلت صحيحاً فرد عليه الحجاج ، فقال له أقرأ أب الفضل السلام وقل له عندي لك خبر سار ، لكن أخلى لي بعض غرفك ، حتى أنفرد معك وأنبئك الخبر من شدة فرح العباس رضي الله عنه ، أعتق غلامه لوجه الله ، ولم يكتفي بهذا الخبر ، قال لله عليّ عشر رقاب أعتقها في سبيل الله ، وفي اليوم التالي جاءه الحجاج ، وأنبئه الخبر ، قال بس أرجوك أكرم عني ثلاثة أيام ، هو حينما أبلغهم هذا الخبر ، قال أريد مالي ، أجمعوا لي مالي ، قال فجمعوا له ماله على أحسن ما يكون ، جمع كل أمواله وأنطلق من مكة ، قال أكرم عني ثلاثة أيام ، وبعد ذلك تكلم ما شئت قال مضت عليه هذا الأيام كثلاثة سنوات ، سيدنا العباس ، بعد أن مضت هذه الأيام ارتد حلة جديدة ، وتطيب بخلوق ، تعطر ، وأمسك قضيباً ، وذهب إلى أهل مكة في ندواتهم ، فلما رأوه قالوا لك الحق أن تتجلدا يا أب الفضل ، يعني معك حق ، مصيبتك كبيرة كثير ، ابن أخيك وقع في الأسر ، وسيأتى به إلينا كي نقتله ، قال لهم كذبتم والله ابن أخي محمد ، سار إلى خيبر وأنتصر عليها وجرت سهام الله وسهام رسوله في أهلها ، وتزوج بنت ملكهم صفية ، قال فرد الله الكآبة التي كانت في المسلمين على المشركين ، رد الله الكآبة التي كانت في المسلمين على المشركين ، وبعد حين لم يلبث أن جاءهم الخبر الصادق بأن محمد سار إلى خيبر وأنتصر عليها ونال منها ، وتزوج بنت ملكهم صفية ، وأخذ غنائمهم وأموالهم...

أيها الأخوة:

الله عز وجل ، أنا ذكرت هذه القصة ، ذكرني بها قول سيدنا العباس ، الله أجل وأكرم من أن يفعل هكذا بالمؤمنين ، ويجب أن نتق بالله عز وجل ، الله أجل وأكرم من أن يصدق علينا قول أعدائنا انتهوا المسلمون لا ما انتهوا ، الله معنا ولكن حاول أن تكسب شرف نصر هذا الدين ، حاول أن يكون لك سهم في نصره هذا الدين والشيء المتاح لنا الآن ، قال تعالى:

﴿وجاهدكم به جهادا كبيرا﴾

(سورة الفرقان: 52)

الله سماه جهاد كبير ما سماه جهاد صغير ، أن تتعلم القرآن وأن تعلمه هو ربيع القلوب ، هو منهجنا ، هو دستورنا ، هو حبل الله المتين ، فيه النجاة ، وفيه السعادة ، وفيه السلامة ، فلذلك:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)﴾

الأديان كلها سقطت ، والنظريات كلها سقطت ، والمذاهب الوضعية سقطت هي في الوحل ، ولم يبق في الساحة إلا الإسلام لذلك يحارب هذه المحاربة ، لم يبق في الساحة إلا الإسلام ، هذا هو دين الله ، والله ناصره .

عليه الصلاة والسلام ، أذكركم بشيء من السيرة ، كان في الهجرة من مكة إلى المدينة ، وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، إنسان مهذور دمه وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً تبعه سراقه ، القصة معروفة عندكم بس أنا أريد هذه الفقرة ، قال يا سراقه كيف بك إذا لبست سواري كسرى ، ما هذا الكلام ، أنت ملاحق مهذور دمك ، قد تقتل ، النبي واثق أنه سيصل ، وأنه سيؤسس دولة وأنه سيحارب الفرس والروم ، وأن سواري كسرى وتاجه ، سيأتي بهما إلى المدينة ، قال له يا سراقه ، كيف بك إذا لبست سواري كسرى ، في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ، جيء بالغنائم ، ولو وقف رجلاي طويلا لا يرى أحدهم الآخر ، من كثرة الغنائم ، الذهب ، والدروع والسوار ، والتاج سيدنا عمر قال سبحان الله ، أن هؤلاء الذين جاءوا بهذه الغنائم أمناء ، سيدنا علي كان إلى جانبه ، قال يا أمير المؤمنين أعجبت من أمانتهم ، لقد عففت فعفوا ، ولو وقعت لوقعوا ، لقد عففت فعفوا ، وعد الله ثابت:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

(سورة النور: 55)

وعدا الله بالاستخلاف ، والتمكين ، والتطمين ، لكن أية آية تنطبق علينا اليوم:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾

(سورة مريم: 59)

لذلك سجاج الأفاق ، الشعوب التي تبغضها شعوب الأرض هذه تتحدوا المسلمين ، لضعف استقامتهم ، وضعف تعاونهم ، وضعف منهجهم الذي خرجوا عنه ، أرجوا الله سبحانه وتعالى أن يمتعنا بنصر هذا الدين وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ، بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

(سورة المؤمنون: 4 - 5)

النصر ممتع ، ومسعد ، والأمر بيدنا ، نعم ، بيدكم أن تستقيموا ، وكل إنسان إذا استقام واصطلح مع الله ، له معاملة خاصة.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد
الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمن ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وأرض عنا ،
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم..